

القضايا الثقافية وتقديم الخدمات

في المناطق الريفية (جمهورية الصين الشعبية)

Cultural Issues and Service Provision in Rural Areas (China)

سومر تساي - هسيغ هسيا Summer Tsai-Hsing Hsia

هيلين ماكابي Helen McCabe

بار - جين لي Bao-Jen Li

إن جمهورية الصين الشعبية أصغر قليلاً في المساحة من الولايات المتحدة، بينما يبلغ سكانها أربعة أضعاف سكان الأخيرة. ففي مطلع القرن الحادي والعشرين بلغ عدد سكان جمهورية الصين الشعبية ١,٢٥ مليار نسمة، أي حوالي ٢٢٪ من إجمالي سكان العالم (Becker, 2000). وتأتي مقاطعاتها الشرقية بين أكثر مناطق العالم في الكثافة السكانية، بينما تعد مقاطعاتها الغربية من بين أقل مناطق العالم في الكثافة السكانية. والصين بتاريخها الذي يمتد إلى خمسة آلاف سنة تعتبر الحضارة القديمة المستمرة الوحيدة. وثقافة الصين غنية وعميقة وموثقة بشكل جيد. ورغم أن غالبية الشعب الصيني يفخرون ببلدهم، سواء إنجازاته

الحديثة أو سجله التاريخي الطويل من الإنجازات، فقد دأب مثقفو ومفكرو المملكة المتوسطة^(١) على مدى أكثر من ٢٠٠ سنة على التصدي لمزيج معقد من الأفكار والمفاهيم التقليدية والغربية. وقد تمثل الحل السهل في مجرد الفصل بين العنصرين عند فحص المعضلة: الشرق للقيم والغرب للعلم والتقنية (Scalapino, 1999). لكن القضية قد لا تكون بهذا الوضوح عندما يتعلق الأمر بتوفير الخدمات الإنسانية، خاصة تعليم الأطفال ذوي الإعاقات.

ففي مجال تصميم برامج التدخل تبنت جمهورية الصين الشعبية، كشأن الكثير من الدول النامية، نماذج توصيل الخدمة المطورة في الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة. غير أن التبنى الكامل قد يكون إشكالياً لأن العناصر الأساسية التي تجعل هذه النماذج تنجح في الأماكن الأخرى قد لا تتوفر بسهولة في كثير من أجزاء الصين. ورغم أن الاقتصاد الصيني ينمو بسرعة مذهلة، فلا تزال أعداد كبيرة من السكان، خاصة في المقاطعات الداخلية، يعيشون في فقر. وفي المناطق التي تندر فيها الموارد، لا يتحمل أن تنفذ بنجاح الخدمات التي تحتاج إلى أشخاص مؤهلين من مجالات مختلفة وتعاون بين الهيئات ومشاركة من الوالدين.

يقدم هذا الفصل أولاً وصفاً لممارسات التدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية. وبعد هذه النظرة العامة يعرض الفصل كيف يلبي برنامج في مقاطعة سيشوان Sichuan حاجات الأطفال الصغار ذوي الإعاقات وأسرهم. كما يعرض الفصل أيضاً إستراتيجيات لتحسين جودة المعلمين وتصميم منهج فعال وتشجيع مشاركة الأسر.

(١) المملكة المتوسطة Middle Kingdom هو الاسم القديم للصين وهو يعكس كيف كان شعبها ينظر إلى بلده من حيث موقعها من العالم: في منتصف العالم (المترجم).

حكاية كينج كينج

مع فجر كل يوم تعبر كينج كينج Qing Qing وجدتها بو بو Po Po نهر يأنجتسي للحضور في أحد برامج الأطفال ذوي الإعاقات. وهما في طريقهما إلى البرنامج يقوم بعض الأطفال الذين يرتدون الأزياء المدرسية ويضعون حقائب الكتب على ظهورهم بالتلويح للجدة بأيديهم الصغيرة. تتبع كينج كينج الأطفال إلى ساحة المدرسة لتحية العلم ثم تعود مع معلمها إلى مدرستها التي تلي المدرسة الابتدائية مباشرة. تبلغ كينج كينج ٥ سنوات من العمر وتعاني من بعض أشكال التأخر النمائي وشلل دماغي ناتج عن حادث غرق في نهر يأنجتسي قبل أن تتم عامها الثاني. تنمو هذه الطفلة الصغيرة السعيدة والنشطة وتتقدم تدريجياً بفضل إصرار بو بو وحماتها لها. تحضر البنت الآن في مدرسة خاصة تقدم برنامجاً تربوياً للأطفال ما قبل المدرسة، حيث ترتدي زيّاً رسمياً وبطاقة مكتوب عليها اسمها، تماماً مثل التلاميذ في المدرسة العادية المجاورة. وقد سُميت المدرسة الخاصة عن قصد بنفس اسم المدرسة الابتدائية "زيانج يانج" حتى لا تحجل الجدّة من أن تقول للجميع إن "حفيدتي تذهب إلى مدرسة البلدة". تقع مدرسة كينج كينج في الطابق الثاني في واحد من مجموعة من الأبنية المترصة. تتميز تلك المدرسة المعتمدة ذات الإدارة الخاصة التي تبلغ مساحتها ٥٦٠ متراً مربعاً بأنها تمتلك تسييلات وتجهيزات أفضل من غالبية البرامج التربوية في هذه البلدة الزراعية، بفضل الدعم الذي تحصل عليه من كلية المعلمين المحلية.

تقوم كينج كينج بمساعدة من أحد المعلمين بارتداء حذائها الخفيف المخصص للفصل عند المدخل، وتقلب بطاقة اسمها المعلقة على الباب لكي تعلن "أنا هنا في المدرسة". تبحث كينج كينج عن الكرسي المكتوب عليه اسمها وتجلس فيه، ثم تخرج كتاب التواصل الأسري من حقيبتها وتضعه في السلة. تكون الجدّة بو بو في الغالب هي عضو الأسرة الذي يقرأ الكتاب الأزرق مع كينج كينج بطريقة الإشارات. فوالدا كينج كينج منفصلان، ووالدها وزوجته الجديدة ليسا على وفاق دائماً. لذلك يبدو أن الاعتناء بكينج كينج يشكل عبئاً على هذين الزوجين.

تدب الحياة والحياة في الفصل مع وصول أطفال أكثر وأكثر. ولا تنسى كينج كينج أن تحمي صديقها المفضل "زياو ما" الذي يجلس في كرسي صممه المعلمون له خصيصاً لكي لا يضطر لأن يرقد على ظهره طوال اليوم. و"زياو ما" من جانبه يتسم ويظهر لسانه عندما يرى كينج كينج. ترى المعلمة ذلك وترجم للطفل "صباح الخير يا كينج كينج"، فتضحك كينج كينج وتعود إلى مقعدها.

إن الفصل مقسم إلى عدة مناطق يمارس الأطفال فيها مهاراتهم في كل المجالات النمائية. وكينج كينج تتبع الروتين اليومي وتستمتع بوجودها مع أصدقائها ومعلميها. لكنها في المنزل ترفض أن تستجيب لزوجتها أبيها وتقاتل بإرادة قوية تذهل الجدة بو بو. ووالد كينج كينج من جانبه يتجنب العودة إلى المنزل قدر استطاعته.

أشار المعلمون على بو بو بأن تحث زوجة ابنها وتساعدتها على أن تتعامل بطريقة إيجابية أكثر مع كينج كينج. ورتبوا أيضاً لأن تأتي زوجة الأب إلى المدرسة قبل نصف ساعة من الميعاد المعتاد لكي يعلموها كيف تلعب الألعاب التي تفضلها كينج كينج. وبالطبع يجد المعلمون صعوبة كبيرة في إيجاد الموارد لدعم أسر مثل أسرة كينج كينج، بل إن ذلك غير ممكن في كثير من الأماكن في الصين.

تقيم المدرسة الابتدائية حدثاً خاصاً تشجيعاً منها لعرض بكين باستضافة دورة الألعاب الأولمبية لعام ٢٠٠٨م. شاركت كينج كينج وأربعة من الأطفال الصغار الآخرين في الفصل في هذا العرض مع تلاميذ من المدرسة الابتدائية، وأخذوا جميعاً يرقصون على نغمات الموسيقى الصاخبة. جذب العرض حشداً كبيراً، منهم أسرة كينج كينج، التي لم تُظهر أي خجل على الإطلاق. فتلك البنت الصغيرة التي استسلمت تقريباً من قبل لمياه نهر يانجتسي الهادرة، تسعد الآن وتمتلئ بالحياة وهي تركز في كل حركة تقوم بها.

السياق القومي

جمهورية الصين الشعبية دولة نامية كبيرة تنقسم إلى اثنتين وعشرين مقاطعة، وخمس مناطق تتمتع بالحكم الذاتي، وأربعة بلديات تدار مركزياً، ومنطقة واحدة ذات طبيعة إدارية خاصة. تخضع الصين ثقافياً وسياسياً لهيمنة الهان الصينيين Han Chinese الذين يشكلون ٩١,٩٪ من السكان. أما نسبة الـ ٨٪ الباقية فتتكون من ٥٥ أقلية معترف بها، منها الزوانج Zhuang والأويجور Uigur والهوي Hui واليائي Yi والتبتيين Tibetan والمياو Miao والمانشو Manchu والمنغوليين Mongol.

يشهد مستوى المعيشة تحسناً ملحوظاً في كل مناطق البلاد منذ أن بدأت الإصلاحات الاقتصادية والسياسية في عام ١٩٧٨م. وقد حققت المناطق الساحلية

نجاحاً كبيراً في تحسين اقتصادها، في مقابل حدوث تقدم أبطأ، وإن كان ملحوظاً، في المقاطعات الداخلية. تتمثل اللغة الوطنية في اليوتوغوا Putonghua (التي تعني الكلام المشترك) أو المندرين Mandarin، وهي إحدى اللغات الخمس المعمول بها في الأمم المتحدة. ومعظم الأقليات العرقية لها لغاتها الخاصة. واللغة الصينية كلغة مكتوبة تستخدم منذ ستة آلاف عام.

تتأثر طريقة الحياة الصينية التقليدية بثلاث من أنساق المعتقدات: تعليمات كونفوشيوس والماوية والبوذية. أكد كونفوشيوس بقوة على فضائل الإحسان والاستقامة والاحتشام والحكمة والأمانة. كما شدد على طاعة واحترام الكبار. أما الماوية فهي دراسة "الطريق"، وتهتم بتحقيق الانسجام مع الكون. وتهدف البوذية إلى تعليم أتباعها كيف يبلغون حالة السعادة القصوى من خلال رفض العالم المادي.

ثمة "ست علاقات" تشكل الأساس لكل التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد، وتقوم هي نفسها على العلاقة الأساسية بين الوالدين والأطفال. أول هذه العلاقات هي طاعة الأبناء Xiao التي تعني الاحترام والطاعة الكاملين من جانب الأبناء لأبائهم وأمهاتهم، وهي تتسع لتشمل العلاقات بين الحاكم والمحكومين والإخوة الأكبر والأصغر سناً والزوج والزوجة والمعلم والتلميذ والأصدقاء.

نظم الخدمات التربوية

أصدرت الصين في عام ١٩٨٦م قانون التعليم الإلزامي الذي ألزم الدولة بتوفير ٩ سنوات من التعليم لكل الأطفال. ومن أجل الوفاء بهذا المطلب، يكون على الطفل إما أن يقضي ٥ سنوات في المدرسة الأولية يليها ٤ سنوات في المدرسة المتوسطة الدنيا، أو ٦ سنوات في المدرسة الأولية يليها ٣ سنوات في المدرسة المتوسطة الدنيا. وفي مطلع القرن الحادي والعشرين كان النظام الثاني (٦-٣ سنوات) هو الأكثر شيوعاً. ورغم أن قانون التعليم الإلزامي يطالب بأن يقضي كل طفل ٩ سنوات في التعليم الرسمي، فمن

المقرر أن ثمة حقائق ووقائع على الأرض تحول دون تنفيذ هذا المعيار. ومن حيث إعمال قانون التعليم الإلزامي يمكن تقسيم جمهورية الصين الشعبية إلى ثلاثة فئات: (١) المدن والمناطق ذات التنمية الاقتصادية المرتفعة، (٢) البلدات والقرى ذات التنمية المتوسطة، (٣) المناطق ذات التنمية الاقتصادية المنخفضة أو المنعدمة. تشكل الفئتان الأوليان ٩١٪ من السكان، وفي هذه الأماكن أصبح معيار التسع سنوات معممًا تقريباً. أما المناطق ذات التنمية المنخفضة أو المنعدمة والتي تحتوي على ٢٥٪ من سكان الصين تقريباً فقد وضعت جداول متباينة لتطبيق التعليم الإلزامي بناء على التنمية الاقتصادية المحلية لكل منطقة.

يستخدم مصطلحاً ما قبل المدرسة Preschool ورياض الأطفال Kindergarten بنفس المعنى، وتغطي برامجهما مدة أقصاها ٣ سنوات، حيث يدخلها الأطفال في حوالي عمر الثالثة ويظلون بها حتى عمر ست سنوات عندما يدخلون المدرسة الابتدائية. إن لجنة التعليم الرسمية State Education Commission (SEC) هي الهيئة الإدارية الرئيسة التي تشرف على التعليم. ولجنة التعليم الرسمية هي التي تضع السياسات والقوانين المتعلقة بالتعليم وتنفيذها وتنسق عمل المدارس الفردية. وعندما وصل دنج زياوينج إلى السلطة في عام ١٩٧٨م وبدأ فترة الإصلاح والانفتاح على الخارج، ظهرت فرص تعليم الأطفال ذوي الإعاقات وانتشرت.

جاء في إحصاءات المسح الوطني حول حالة الإعاقات National Survey on the Status of Disabilities لعام ١٩٨٧م أنه من بين ٥٢ مليون معاق يوجد ٢,٤٦ مليون طفل أصغر من عمر السادسة (Epstein, 1992; Gargiulo & Piao, 1996). لقد بدأ تعليم الأطفال ذوي الإعاقات في الصين على نطاق ضيق في أواخر القرن التاسع عشر. وقد كانت الإرساليات الأمريكية والأوروبية أول من فتح مدارس للأطفال ذوي الإعاقات الحسية. وفي عام ١٩١٢م أنشئت أول مدرسة تربية خاصة يؤسسها الصينيون وخدمهم،

وكانت مدرسة تدريب لكل من المعلمين والتلاميذ ذوي الإعاقات البصرية والسمعية، ثم افتتحت مدرسة مماثلة لهؤلاء التلاميذ في ناتونج بمقاطعة جيانجسو Jiangsu عام ١٩١٦ م. وبحلول عام ١٩٣٧ م كان هناك حوالي ٤٠ مدرسة من هذا النوع، وقد أغلق كثير منها في أثناء الحرب العالمية الثانية (Epstein, 1988; Ye & Piao, 1995). ومع تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٤٩ م، أعيد فتح المدارس وتم ضم المدارس التي كان يديرها الأجانب إلى نظام التعليم العام (Yang & Wang, 1994).

منذ ذلك التاريخ أصبح تعليم الأطفال ذوي الإعاقات جزءاً من التعليم العام. وقد أنشئ أول فصل للأطفال ذوي الإعاقات المعرفية^(٢) في بكين عام ١٩٥٨ م، ثم افتتحت مدرسة أخرى في داليان Dalian عام ١٩٥٩ م. لكن المسيرة توقفت في أثناء فوضى الثورة الثقافية ١٩٦٦-١٩٧٦ م (Yang & Wang, 1994; Ye & Piao, 1995). ومنذ أن بدأت فترة الإصلاح والانفتاح في عام ١٩٧٨ م تحسنت فرص التعليم لكل الأطفال في كل أرجاء البلاد. وفي الوقت الراهن تقدم الخدمات للأطفال ذوي الإعاقات الحسية^(٣) والمعرفية في بيئات متنوعة. وتوجد مدارس منفصلة مخصصة للأطفال ذوي الإعاقات في أغلب المدن. وفي عام ١٩٩٠ م كانت هناك ٧٤٦ مدرسة تربية خاصة حكومية تعمل كجزء من نظام التعليم العام. وثمة نوع ثانٍ من البيئات التعليمية هو فصول التربية الخاصة الملحقه بمدارس التعليم الابتدائي العام. وفي عام ١٩٩٠ م بلغ عدد هذه الفصول ١٨٨٥ فصلاً (Renmin Jiaoyu Press, 1991). يحصل التلاميذ في هذه المدارس والفصول على التعليم من الصف الأول إلى التاسع (يكافئ المدرسة الأولية والمتوسطة الدنيا)، وتضم بعض المدارس أيضاً فصول رياض أطفال للأطفال تحت عمر السابعة.

(٢) يقصد بها الإعاقات العقلية المترجم.

(٣) يقصد بها غالباً الإعاقات البصرية والسمعية المترجم.

ومنذ أوائل الثمانينيات بدأت أماكن تعليمية جديدة تتاح للأطفال ذوي الإعاقات. فأصبح الأطفال ذوي الإعاقات الحسية والإعاقات المعرفية البسيطة يتلقون تعليمهم على نحو متزايد في بيئات التعليم العام. وكانت أولى المدارس التي تطبق هذا التوجه هي تلك التي تقع في مناطق جبلية وريفية نائية، وذلك بداية من مطلع الثمانينيات. وربما كان ذلك بسبب نقص التمويل، ذلك أن هذه المناطق، على خلاف المدن والبلدات الأكبر التي تتوفر بها مدارس وفصول للتربية الخاصة، تفتقر إلى الأموال والبنية التحتية اللازمة لتوفير مدارس منفصلة ملائمة. فقد أدى الالتزام بتقديم ٩ سنوات من التعليم لكل التلاميذ، بما في ذلك التلاميذ ذوي الإعاقات، إلى الأخذ بصيغة التعليم الدمجي Inclusive Education، فقط باعتباره طريقة عملية وملائمة لتوفير التعليم لكل الأطفال (Chen, 1996, 1997).

السمات الرئيسة للتدخل المبكر

طورت الصين منذ منتصف الثمانينيات سياسات وبرامج التربية الخاصة للأطفال في عمر المدرسة وتوسعت فيها، ومع ذلك فلم يتطور التدخل المبكر للأطفال ذوي الإعاقات تحت سن السادسة إلا مؤخراً. وثمة تقارير كثيرة توفر معلومات عامة حول الأعداد الإجمالية لفصول ومدارس الطفولة المبكرة للأطفال ذوي الإعاقات. من ذلك أنه في عام ١٩٩٠م، كما ذكر كارتر وتشين وهوانج ويو (Carter, Chen, Hwang, and Yu, 1996)، كان هناك أكثر من ٦٠٠ فصل من فصول ما قبل المدرسة للأطفال ذوي الإعاقات تديرها في الغالب الجماعات المحلية. وقد أدمج الأطفال الصغار ذوي الإعاقات البسيطة والمتوسطة في الفصول العامة فيما قبل المدرسة. وإضافة إلى الفرص التي تتوفر في بيئات ما قبل المدرسة منذ أواخر الثمانينيات، بدأ الموظفون الصحيون وأولياء الأمور ينشئون ويديرون كثيراً من برامج التربية الخاصة للطفولة المبكرة (Mu, Yang, & Armfield, 1993; Yang & Wang, 1994).

تقدم هذه المعلومات لمحة عامة للتدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية في عام ٢٠٠٢م. ومن الواضح أن ثمة جهود تبذل وأن بعض الأطفال يتلقون خدمات التربية الخاصة. لكن إحصاءات معدلات القيد تكشف، مع ذلك، عن حاجة مستمرة لهذه الخدمات، حيث وجد تقرير في عام ١٩٩٧م أن أكثر من ٨٥٪ من الأطفال الصغار ذوي الإعاقات لا تتاح لهم حتى الآن فرصة للتربية المبكرة (Zhao, Guo, & Zhou, 1997). ويمكن لنظرة عن قرب على الممارسات المحددة في هذه البرامج أن تقدم فهماً أفضل للتدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية اليوم.

المنهج والممارسات الصفية

تقدم خدمات التدخل المبكر للأطفال الصغار في كل من المدارس والمؤسسات العامة والخاصة. وتعد مدرسة إجزنيون Xinyun ببكين التي أنشئت عام ١٩٨٦م من أول وأفضل برامج التدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية (Mao & Wang, 1994). وفي هذه المدرسة يتعلم الأطفال على شكل مجموعات وفردياً. ويؤكد المنهج المطبق على السلوك الاجتماعي والمهارات الحركية الكبيرة والدقيقة والمهارات اللغوية والمعرفية ومهارات مساعدة الذات، مع التركيز بشكل خاص على المهارات اللغوية والحركية الدقيقة

تقدم برامج كثيرة في مؤسسات صحية أو في مؤسسات خاصة يديرها أولياء الأمور. من أمثلة ذلك مركز نانجنج لبحوث الصحة العقلية للأطفال Nanjing Child Mental Health Research Center الحكومي الذي يقدم برامج تدخل قصيرة للأطفال الصغار ذوي التوحد، ومعهد بكين التعليمي للأطفال ذوي التوحد Beijing Xingxingyu Education Institute الذي أنشأه ويديره والد طفل توحد.

ورغم وجود مدارس وبرامج كثيرة مخصصة لتعليم الأطفال الصغار ذوي الإعاقات المعرفية والتوحد، فإن النسبة الأكبر من برامج التدخل المبكر في الصين تُخدم

الأطفال ذوي الإعاقات السمعية. تتضمن هذه البرامج فصولاً ملحقة بمدارس التربية الخاصة وفصولاً للأطفال ما قبل المدرسة ضمن مراكز التأهيل الوطنية للأطفال ذوي الإعاقات السمعية. ويمثل التعليم الدمجي فيما قبل المدرسة اتجاهاً متنامياً.

وإجمالاً فمن الواضح أن الصين تحقق تقدماً ملحوظاً في تطور خدمات التدخل المبكر. فقد بدأت كل من المناطق الفقيرة النائية والمناطق الحضرية مرتفعة التنمية في إنشاء برامج للأطفال الصغار ذوي الإعاقات. وتتراوح طرق توصيل الخدمة من فصول التدخل المبكر في مدارس التربية الخاصة أو مراكز التأهيل إلى بيئات أكثر دمجاً ضمن فصول ما قبل المدرسة بالتعليم العام.

أدوار الأسر

تؤكد برامج كثيرة في الصين على مشاركة أولياء الأمور في خدمات التدخل المبكر والخدمات التي تقدم الدعم والتعليم لهم. وتتراوح أدوار الأسر من الملاحظة واللقاءات العرضية مع المتخصصين إلى شكل أكثر شمولية من المشاركة. وفيما يلي سنقدم وصفاً للبرامج التي تحتوي على مكونات أسرية.

يعتبر معهد بكين التعليمي للأطفال ذوي التوحد واحداً من البرامج الإبداعية للأطفال الصغار ذوي الإعاقات وأسراهم. وفي هذا البرنامج يشارك أولياء الأمور بشكل نشط في تعليم أطفالهم لمدة ثلاثة أشهر، حيث يعملون كمدرسين أوليين تحت توجيه المعلمين، ويحضرون جلسة أسبوعية يحاضر فيها مدير البرنامج مركزاً على أساليب محددة ومبادئ التحليل السلوكي التطبيقي. وتلعب الأسر في هذا البرنامج من برامج التدخل المبكر أدواراً فعالة في تعليم أطفالهم، كما يحصلوا على دعم كبير أيضاً. يقدم مركز نانجينج للصحة النفسية للأطفال Nanjing Child Mental Health، وهو برنامج آخر سبق ذكره، خدماته للأطفال ذوي التوحد، ويحتفظ هو الآخر بأدوار نشطة لأولياء الأمور. وهنا يقوم أحد الوالدين، على الأقل، بالحضور في الفصل مع

طفله. كما يشارك أولياء الأمور أيضاً بفعالية في حصص التربية الموسيقية والبدنية الجماعية اليومية.

تركز مدرسة "فرصة" Fortune على مشاركة أولياء الأمور، حيث تعقد هذه المدرسة لقاءات مع أولياء الأمور كل شهر وقبل العطلات. ويركز العمل مع أولياء الأمور على تحسين مهاراتهم في الملاحظة وكذلك حساسيتهم واستجاباتهم لتلميحات أطفالهم وسلوكهم (Mao, 1989).

كما شدد مشروع "مؤسسة إنقاذ الطفولة" Save the Child Instiution بمقاطعة إنهوي Anhui على أهمية العمل مع الأسر. وقد جاء من بين أهداف المشروع تعزيز الشراكة بين المعلمين والأسر. وهنا يقوم المعلمون بتنفيذ زيارات إلى بيوت تلاميذهم، وتقوم الأسر بزيارة مدارس أطفالها. وتشجع الأسر على الانخراط في البرنامج التربوي الفردي لأطفالها، وأن تلتقي مع الأسر الأخرى وأن تشارك في ندوات وحلقات نقاشية. ويرى كل من أولياء الأمور والمعلمين أن تدريب المعلمين والطرق الجديدة أدت إلى حدوث تحسن في الخيرات التربوية لكل الأطفال: العاديين وذوي الإعاقات (Holds-worth, 1993).

تحتوي برامج التدخل المبكر في منطقة هونجكو Hongkou بشنغهاي أيضاً على مكون التربية الأسرية. وهنا يتم تشجيع أولياء الأمور على المشاركة في مناقشات حول وضع الأهداف ومحتوى البرامج الفردية. ويعتقد أن أولياء الأمور نتيجة لمشاركتهم في التدريب التعاوني سيتمكنوا من استخدام طرق المعلمين التعليمية في المنزل ويعززون ما يتعلمه الطفل في المدرسة (Gao, Xiang, & Jing, 1999).

المؤثرات النظرية

لقد أثرت بحوث وخبرات التدخل المبكر الغربية على تطور التدخل المبكر في الصين. ومن أمثلة ذلك التدخل المبكر مع الأطفال ذوي الإعاقات والأطفال المعرضين

للخطر مثل برنامج "بداية مثلى" Head Start Program في الولايات المتحدة. وقد أثرت برامج الدمج في مرحلة المدرسة وما قبل المدرسة في الخارج على التوجه الحالي للتدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية (Mao & Wang, 1994).

وقد كان للبحوث والخبرات الأمريكية في التحليل السلوكي التطبيقي أثر كبير على الإستراتيجية التعليمية المستخدمة في معهد بكين التعليمي للأطفال ذوي التوحد. فقد زار مدير المعهد مراكز في الولايات المتحدة ليتعلم حول كيفية استخدام التحليل السلوكي التطبيقي في تعليم الأطفال الصغار ذوي التوحد من خلال الملاحظة وجمع مواد متعلقة بالمتهج والبحوث.

المؤثرات السياسية

كانت مبادرة تعميم التعليم الإلزامي لكل الأطفال من أهم المؤثرات السياسية على ممارسات التدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية. وقد نص قانون التعليم الإلزامي لعام ١٩٨٦ م على أن تقوم الحكومات المحلية على كل المستويات بتوفير ٩ سنوات من التعليم الإلزامي (في المدارس أو الفصول الخاصة) للأطفال ذوي الإعاقات الحسية أو المعرفية (National People's Congress, 1986). وثمة تشريعات أخرى تتعلق بتعليم الأطفال ذوي الإعاقات، منها قانون جمهورية الصين الشعبية لعام ١٩٩٠ م حول حماية الأشخاص المعاقين الذي يعطي أولوية للتعليم الإلزامي للأطفال ذوي الإعاقات في عمر المدرسة، فضلاً عن كونه أول قانون لتشجيع جهود الفرص التعليمية في الطفولة المبكرة (National People's Congress, 1990).

إن قانون التعليم الإلزامي، رغم أنه لا يفرض تعليم ما قبل المدرسة بالنسبة للأطفال ذوي الإعاقات، فقد أثر بقوة على إنشاء برامج في التدخل المبكر، حيث أن العمل على الوفاء بالهدف القومي المتمثل في ٩ سنوات من التعليم الإلزامي لكل طفل جعل إدارات التعليم المحلية تعتبر التدخل المبكر أحد طرق تلبية ذلك الهدف.

وقد أدى هدف تعميم التعليم الأساسي والصعوبة المتضمنة في بناء مدارس وفصول منفصلة جديدة وتزويدها بالمعلمين إلى جعل التعليم الدمجي أكثر الحلول ملائمة لتوفير التعليم لكل الأطفال. ويقدم التدخل المبكر للطفل أساساً للدمج الناجح (Chen, Ye, & Peng, 1995; Zhao, 1996; Zhou & Cheng, 1995). ونتيجة لهذا المنطق كان التعليم الإلزامي والسياسات الموجهة لخدمة ذوي الإعاقات من المؤثرات القوية على تطور التدخل المبكر.

تشكل القيادة مؤثراً سياسياً رئيساً آخر على الخدمات الإجمالية التي تقدم للأشخاص ذوي الإعاقات. من ذلك أن دينج بوفانج ابن الزعيم الصيني الراحل دنج زياوبنج يترأس الاتحاد الصيني للمعاقين، وهو الهيئة الحكومية المسؤولة عن مساعدة الأشخاص ذوي الإعاقات. ودينج الذي يستخدم هو نفسه كرسي متحرك بسبب إصابة في الحبل الشوكي وقعت له في عام ١٩٦٨م يأتي أيضاً على رأس المدافعين عن المواطنين الصينيين المعاقين الذين يقدر عددهم بـ ٥٢ مليون شخص. وقد ذكرت الصحف الرسمية في عام ١٩٩٦م أن مجلس الدولة أكمل مخططاً لبرنامج حكومي للأشخاص ذوي الإعاقات. يهدف هذا البرنامج الذي يشكل جزءاً من الخطة الحكومية الخمسية التاسعة (١٩٩٦-٢٠٠٠م) إلى حل مشكلات المأكل والملبس للأشخاص ذوي الإعاقات وضمان الحاجات الأساسية لثلاثة ملايين شخص معاق يعتقد أنهم يعيشون في فقر مدقع. ويؤكد البرنامج، إلى جانب ذلك، على الأهداف السابقة المتعلقة بتوفير خدمات التأهيل: رفع قيد الأطفال ذوي الإعاقات بالمدارس إلى ٨٠٪، وزيادة معدل توظيف هؤلاء الأشخاص إلى ٨٠٪. ومن أجل هذا الهدف الأخير تطالب الحكومة كل الشركات الحكومية بتوظيف عدد محدد من العمال ذوي الإعاقات، بينما تقدر السلطات أن نصف هؤلاء الأشخاص تقريباً لا يصلحون للعمل.

تقر البيئة السياسية منذ ١٩٧٨م التبادل والتعاون الدوليين ، وقد كان ذلك أيضاً أحد العوامل التي أسهمت في تطور التدخل المبكر في جمهورية الصين الشعبية. فقد جاءتنا المعرفة حول التدخل المبكر من الغرب (Mao & Wang, 1994) ، بل إن كثيراً من برامج التربية الخاصة للطفولة المبكرة - مثل لجنة التعليم الإقليمية بأنهوي Anhui Provincial Education Commission وبرنامج إنقاذ الطفولة وبرنامج التأهيل المجتمعي (CBR) Community-based Rehabilitation التابع لليونيسيف - أقيمت وتدار بالتعاون مع المنظمات الدولية. وقد كانت الزيارات المتبادلة والزيارات الدراسية إلى الولايات المتحدة وألمانيا مفيدة في تطوير برنامجين للتدخل المبكر للأطفال ذوي التوحد. وذلك التبادل والتفاعل لم يكن ليتحقق بالطبع دون المناخ السياسي القائم على الإصلاح والانفتاح على الخارج.

المؤثرات الثقافية

ينظر الصينيون إلى التعليم باعتباره طريق الوصول إلى النجاح. وأولياء الأمور الصينيون معروفون باستعدادهم للتضحية بسعادتهم الشخصية من أجل ضمان تعليم جيد ، وبالتالي مستقبل ناجح لأطفالهم. ويحظى المعلمون عموماً باحترام كبير، وينشد تلاميذ المدارس الالتزام والطاعة والتبعية للجماعة.

لقد أدى التنفيذ الصارم لتنظيم النسل إلى نتيجة مزدوجة على بعض الأطفال ذوي الإعاقات وأسرههم. فمن أجل كبح النمو السكاني السريع ، تبنت لجنة تنظيم النسل في عام ١٩٧٩م سياسة الطفل الواحد. تنص هذه السياسة على تقييد الزوجين في البيئات الحضرية بإنجاب طفل واحد ، بينما يسمح للزوجين في المناطق الريفية بإنجاب طفلين في حال كان المولود الأول بنتاً. تعلمي الثقافة الصينية من قيمة الأبناء الذكور ، وذلك لأن البنات عندما يتزوجن يصبحن جزءاً من أسرة أزواجهن ، ولا يبقى أحد ليعتني بالوالدين في شيخوختهما. ولا تزال تلك القيم تنتشر في المناطق الريفية النائية

التي يشكل الأبناء فيها عوناً للعمل في الحقول لزيادة دخل الأسرة. كما يوجد إستثناء آخر لهذه السياسة هو الأسر التي يكون طفلها الأول معاقاً بشرط أن يحصل الزوجان على إذن من السلطات المختصة. ويترتب على انتهاك سياسة الطفل الواحد عقوبات شديدة، منها حرمان الطفل الثاني من الخدمات التعليمية والصحية وغرامة تكافئ أجر ١٠ سنوات (Strom, Strom, & Xie, 1995).

لقد كانت قيود تنظيم النسل شديدة إلى درجة جعلت بعض الناس يتخلصون من المولود إذا كان بنتاً على أمل أن ينجبوا ولدأ في المرة القادمة، بينما أدت مشاعر الخجل واليأس التي تنتج عن ولادة طفل معاق إلى جعل بعض أولياء الأمور يرفضون أطفالهم. ومع أن ترك الطفل أو التخلص منه جريمة يعاقب عليها القانون، فإن معظم الحالات تمر دون عقاب. وقد كانت من نتائج هذه السياسة، إلى جانب ما سبق، أن أصبحت بعض الأسر تعبير اهتماماً أكبر بأطفالها المعاقين وتجتهد أكثر في تعليمهم. فالصعوبات المترتبة إنجاب طفل ثاني، خاصة المادية منها، جعلت كثيراً من الأسر التي يكون طفلها الأول معاقاً لا تفكر في إنجاب طفل ثان، وأن تركز هذه الأسر كل طاقاتها من أجل مساعدة الطفل في أن يحصل على الخدمات التعليمية وغيرها من الخدمات. وعندما يكون الطفل المعاق الواحد يلقي الرعاية من أربعة أجداد وأبوين، فمن المؤكد أن الرعاية والدعم اللذان يتحصل عليهما سيكونان كبيرين وإيجابيين.

وعموماً توجد بالصين الريفية عوائق متعددة أمام تطوير وتنفيذ خدمات التدخل المبكر. فيما يلي سنقدم وصفاً للجهود التي يبذلها أحد البرامج لمواجهة تلك التحديات.

وصف البرنامج

قامت مؤلفة الفصل الثالث وزميلها متسلحين بعشرين عام من الخبرة في العمل مع الأطفال ذوي الإعاقات في تايوان بإنشاء مركز زيانج يانج لنمو الطفل

Ziang Yang Children's Development في جيانج جين عام ١٩٩٦م. تقع جيانج جين Jiang Jin وشونجكنج Chongqing (عاصمة مقاطعة سيشوان) في الجزء الجنوبي الغربي من الصين، وتبعدان عن بعضهما بمسافة ٦٠ كيلومتر، وتربطهما طرق سريعة وسكك حديدية ونهر يانجتسي. ويتكون غالبية سكان جيانج جين من مزارعين يبحثون عن فرص عمل في المدن الساحلية في المواسم التي يقل فيها العمل بالزراعة. وقد أدت الدخول الإضافية والإصلاحات الاقتصادية إلى ازدهار هذه المدينة التي يسكنها ١٠٠٠٠٠٠ نسمة.

من بين التلاميذ الـ ٢٠ المسجلين في مركز زيانج يانج، يوجد سبعة تتراوح أعمارهم بين ثلاث وست سنوات. عند تأسيس المركز كان من المستحيل تقريباً أن يسجل الأطفال في عمر ما قبل المدرسة، وذلك لأن معظم أولياء الأمور لم يكونوا على استعداد لإرسال أبنائهم الصغار إلى "مدرسة للمعاقين"، علاوة على أن كثيراً من أولياء الأمور لم يكونوا يعرفون بأن خدمات التربية الخاصة أصبحت متوفرة في البلدة.

استخدم البرنامج ثلاث إستراتيجيات لتحديد أماكن الأطفال الذين يحتاجون إلى الخدمات. أولاً تسمح قوانين تنظيم النسل للأزواج الذين يأتي مولدوهم الأول معاقاً بأن يحصلوا على إذن من مكتب تنظيم النسل بإنجاب طفل ثان، وقد وفرت سجلات هذا المكتب معلومات ساعدت موظفي مركز زيانج يانج في تحديد أماكن الأسر. ثانياً، ونظراً لأن المستشفيات المحلية لا تحتفظ بسجلات للمرضى، فقد أقام موظفو مركز زيانج يانج شبكة مع الأطباء في مستشفيات وعيادات الأطفال بحيث يحملون إليهم الأطفال الذين تشخص لديهم حالات إعاقة. ثالثاً افتتح مركز زيانج يانج مكتبة لإعارة الألعاب والكتب في شونجكنج للتعرف على الأطفال الصغار ذوي الإعاقات وأشكال التأخر النمائي وأسرههم. كما قدم المركز إستشارات وخدمات

معلومات لمساعدة أولياء الأمور في إدراك أهمية التدخل الميكر. ونتيجة لذلك اختار عدد من الأسر أن يسجلوا أطفالهم في مركز زيانج يانج. الممارسات التي تستهدف تحديات معينة

معظم أولياء أمور الأطفال المسجلين في زيانج يانج من المزارعين أو العمال. وكثير منهم يبحثون عن عمل خارج البلدة ويتركون أطفالهم في رعاية الأجداد، وبعضهم افتتح مشروعات صغيرة في البلدة لكسب عيشهم. في تلك البيئة لا يزال تشجيع أولياء الأمور على المشاركة بشكل نشط في تعليم أطفالهم وتبني إحساس بالأمل في مستقبل أطفالهم يشكل تحدياً كبيراً. ولعل التحدي الأصعب هو ذلك الذي تمثل في نقل نموذج توصيل الخدمات الذي تطور في تايوان إلى هذا المكان الفقير في الموارد والمعلومات.

اختيار الموظفين وتدريبهم والتنمية المهنية المستدامة

لم يكن الناس في جيانج جين يسمعون شيئاً عن الفرص التربوية للأطفال الصغار ذوي الإعاقات قبل عام ١٩٩٦ م. ولذلك تمثلت الخطوة الأولى المهمة في اختيار المعلمين الذين لديهم الاستعداد للتعلم حول العمل مع الأطفال وأسرههم، فضلاً عن تدريبهم والاحتفاظ بهم في المجال. وقد حرص مركز زيانج يانج على أن يكون كل المعلمين أشخاص ولدوا وتربوا في جيانج جين، وذلك لكي يكون البرنامج محلياً حقاً ويكون نموذجاً لأعداد الموظفين يلائم منطقة زراعية ريفية. كان المعلمون الثمانية الأوائل الذين انضموا إلى المركز من حديثي التخرج من المدارس الثانوية أو مدارس المراسلة. ونظراً لافتقار هؤلاء الأشخاص إلى أية خلفية في التربية الخاصة أو نمو الطفل، فقد وضعهم المركز في عملية تدريب واختبار لمدة شهر. وبالفعل نجح كل هؤلاء المعلمون وظلموا بالمدرسة وأصبحوا الثروة الحقيقية لمركز زيانج يانج. وقد مكنتهم خبرتهم وعملهم الجاد من تنفيذ التدريس بشكل مستقل والعمل كمستشارين

للبرامج الأخرى ومتابعة الطلاب الذين يتدربون على التربية الخاصة وأن يكونوا خبراء في إستراتيجيات التدخل.

يتميز برنامج التدريب في أثناء الخدمة في مركز زيانج يانج بأنه يقدم بانتظام ويسمح للمعلمين باكتساب المعرفة بطريقة منظمة ويتجنب التجزيء. في أثناء السنتين الأوليين لمركز زيانج يانج، كان كل المعلمين يخضعون لخطة تنمية مهنية واحدة. فيما حدد مديرو المركز في العامين الثالث والرابع المجالات التي يحتاج المعلمون الفرديون إلى التركيز عليها بناء على تقييمات أداء متأنية. وفي السنة الخامسة قام المعلمون أنفسهم بتحديد أهدافهم الخاصة بالنمو المهني.

كانت كل خطة سنوية للتنمية المهنية للمعلمين تتضمن هدفاً واحداً يتفق مع المسئوليات الحالية لكل معلم. من ذلك على سبيل المثال أن المعلمين تعلموا في السنة الأولى كيف يقيمون علاقات جيدة مع الأطفال وأفراد الأسر وكيف يصممون وينفذون أنشطة التدخل. وفي السنة الثانية كان يتوقع من المعلمين أن يكونوا قادرين على فهم خصائص الأطفال واحتياجاتهم وتقييمها بدقة وإعداد خطط لبرامج فردية. وتدرجياً وصلت الأهداف إلى التركيز على القدرة على مساعدة الأسر على التعامل مع مخاوفها المختلفة، وكذلك تم التأكيد على مهارات مثل الإستشارة والاستفادة من الموارد والعمل مع المهنيين والمنظمات الأخرى. وقد تضمنت الإستراتيجيات التي تستهدف التنمية المهنية للمعلمين قراءة الكتب المتعلقة بالتربية الخاصة أو المجالات ذات الصلة وتقديم تقارير حولها، والمشاركة في دراسات الحالة وإجراء بحوث مستقلة، وحضور المؤتمرات التي تقام في الداخل والخارج، وتقديم عروض للأسر والجمهور العام. ولعل التحدي الأكبر، وإن كان الأفضل في نتائجه، هو تقديم الدعم لبرامج التربية الخاصة الأخرى. فبعد أن قامت منظمات تعمل مع الأطفال ذوي الإعاقات بزيارة زيانج يانج، تقدم الكثير منها بطلبات للمساعدة في مواقعها. وقع اختيار زيانج

يانج على بضع برامج تقع في المناطق النائية لتدريب معلميها لكي يصبحوا مستشارين. في بادئ الأمر أرسل فريق من ثلاثة مدربين ، وفيما بعد أرسل معلمان آخران لكي يتبادلوا معرفتهم وخبرتهم مع المتدربين.

ومن المعتقد أن المعلمين بعد سنوات من القراءة والتعلم والمناقشة ، والأهم من ذلك بعد تقديم خدمات مباشرة ، قد نمت لديهم مجالات اهتمام وخبرة خاصة بهم ، واستكشفت إمكانيات أخرى لثلية احتياجات الأطفال والأسر. والبرنامج من جانبه يدعم جهود كل المعلمين للجمع بين اهتماماتهم والموارد المتاحة لتحسين نوعية حياة الأسر التي يخدمونها. ومن ذلك مثلاً أن معلماً (وهو أيضاً والد لطفل من ذوي التوحد) بدأ في مكتبة إعارة الألعاب ، ثم تقدم تدريجياً بعد ذلك إلى بناء نموذج توصيل خدمة خاص به.

إن خدمة الأطفال ذوي الإعاقات وأسره في المناطق الريفية هي الرسالة الأساسية لمركز زيانج يانج ، وهدف المركز طويل المدى هو تدريب مجموعة ذات كفاءة عالية من متخصصي التدخل يستطيعون أن يقدموا تربية خاصة عالية الجودة في أماكن كثيرة مماثلة في مختلف أنحاء البلاد. وقد دأب المركز على تذكير المعلمين الثمانية ، وهم يهيئون أنفسهم ليكونوا رواداً ، بأن معلم التربية الخاصة الجيد يسأل أسئلة أساسية من نوع "لماذا نعلم هؤلاء الأطفال بينما استسلم الآخرون؟" و"كيف سيستخدم هذا الطفل المهارة التي يتعلمها لتحسين حياته؟" وعند الإجابة عن مثل هذه الأسئلة كان المعلمون يوجهون أولاً إلى التعرف على قيمة عملهم وتثمينها.

في أنحاء العالم تتعاون منظمات كثيرة في تقديم التدخل المبكر والتربية الخاصة للطفولة المبكرة. لكن يستحيل في مثل هذه البلدة الريفية أن يتوفر فريق من المتخصصين في المجالات المختلفة أو تعاون بين المنظمات. ولذلك فإن توفير العلاج الطبيعي أو المهني أو علاج اللغة والكلام للأطفال الصغار في زيانج يانج يتطلب من العاملين الإبداع

وسعة الحيلة. وقد تم التعاقد مع معالجين من تايوان لتقييم الأطفال وتقديم التدريب أثناء الخدمة، حيث تم إرسال أشرطة فيديو حول تقدم الأطفال إلى المدربين، وبناء عليها أعدوا أنشطة وإستراتيجيات تدخل، ثم نقلوها بعد ذلك إلى المعلمين عبر أشرطة فيديو وتعليمات مكتوبة. ومن أجل التغلب على النقص في المتخصصين، يعد المهنيون التايوانيون برامج تدريبية منظمة في جيانج جين، ويؤسسون شبكات إحالة بين المستشفيات في جنوب غرب الصين.

تطوير المنهج

لقد تطورت التربية الخاصة بداية من أواخر الثمانينيات من مدخل علاجي طبي إلى مدخل يركز أكثر على الجوانب النمائية والوظيفية. لكن فائدة تطبيق النماذج التي تطورت في الدول الغربية الصناعية في مناطق ذات اقتصادات متخلفة أمر مشكوك فيه. فمجرد اتباع خطوات المربين الخاصين الأمريكيين، على سبيل المثال، لا ينمي الاستقلالية وجودة الحياة للأطفال في الصين. فمن الضروري أن يفحص الممارسون بيئة الأطفال الإيكولوجية عن قرب ثم يطوروا نماذج توصيل الخدمة والمناهج تأسيساً عليها. ورغم الرخاء الاقتصادي الذي تحقق في كثير من المدن نتيجة للإصلاحات الاقتصادية، لا يزال أكثر من ٧٠٪ من الشعب الصيني فلاحين يعيشون في الريف. ولذلك فإن النموذج الإيكولوجي الذي يؤكد على استخدام أقل قدر من الموارد ودمج الأطفال بالكامل في بيئاتهم المحيطة قد يكون أفضل طريقة لتوصيل الخدمة من حيث الكلفة. ولذلك يحاول الموظفون في مركز زيانج يانج تحديد أن يساعدوا الأطفال على أن يتفاعلوا بنجاح مع البيئة ويستندمجوا مهارات في كل مجالات النمو. وتصاغ عملية التعلم، بما في ذلك المحتوى والمكان والوقت، بحيث تتوافق مع خصائص واحتياجات البيئة. ينظر هذا النموذج إلى التعلم بوصفه عملية تتطلب تخطيطاً طويلاً المدى، ولذلك ينبغي تجنب السلوك المجزأ وغير الهادف وغير المرتبط.

أهداف التعلم الفردية: قبل تقييم الطفل باستخدام القوائم النمائية التي أعدت في الصين ومقياس تعلم الأطفال الصغار الذي أعده المركز، يزور المعلمون منزل الطفل ومجتمعه المحلي ليُكوّنوا فهماً لأنشطة الطفل الروتينية اليومية. وهنا يتم تشجيع أولياء الأمور على المساعدة في وضع أهداف تعلم فردية والتعبير عن خططهم طويلة المدى لطفلهم.

اختيار طرق التدريس: يتم التدريس لتحقيق كافة أهداف التعلم من خلال واحد أو أكثر من الإستراتيجيات التالية:

● التعلم العرضي Incidental Learning: يمكن دمج معظم أهداف التعلم في الأنشطة الروتينية اليومية باستخدام الأحداث التي تحدث طبيعياً لتعليم الأطفال الطريقة الصحيحة للاستجابة. من ذلك مثلاً أن يتم تعليم استخدام الملعقة في إطعام الذات في وقت الغداء، وخلع الملابس الداخلية في وقت دخول المرحاض. وتنظم أنشطة على مدار اليوم بعناية لتعظيم فرص التعلم، ومن أمثلة ذلك مساعدة الأطفال في خلع أحذيتهم وارتداء أحذية المنزل الخفيفة. يمثل ذلك تطبيقاً لمبدأ تعليم الأطفال المهارات المطلوبة في البيئات التي تكون تلك المهارات مطلوبة فيها، وهو ما يجعل التعلم ذي معنى.

● التكرار Repetition: تتبع الأنشطة الروتينية مثل اجتماعات الصباح والمساء صيغاً معينة، وفيها يمكن للأطفال الصغار أن يمارسوا على نحو متكرر مفاهيم مهمة حول الذات والآخرين والمكان والأعداد والوقت.

● التعلم حسب الموضوعات Thematic Learning: في بعض الأحيان تدور أهداف التعلم حول موضوع واحد يعكس أحداثاً مهمة في الطبيعة أو المجتمع المحلي. ففي درس مدته أسبوعين حول الاحتفال بالسنة الجديدة، على سبيل المثال، يمكن أن يتعلم الأطفال الصغار اللون الأحمر واستخدام عصي الطبول لعزف الموسيقى ولصق

قصائد شعرية على الجدران. ويؤكد النموذج البيئي على توفير خبرات كاملة للطفل وتحسين قدرة الطفل على التعرف على الحدث والمشاركة في خلق الحدث.

● التدريس العلاجي Remedial Instruction: يتم بناء على الاحتياجات الخاصة للأطفال تدريس بعض الأهداف التعليمية باستخدام أنشطة يوجهها البالغون. كما يجب أن يتاح لكل الأطفال يوماً للوقت للمشاركة في اللعب الحر، وكذلك يجب أن تشجع المبادرة الذاتية والإبداع على مدار اليوم.

التصميم والجدولة البيئيين: لا تقتصر بيئة التدخل على المركز، حيث تمتد بيئات التعليم إلى المجتمع المحلي والمزارع وضياف الأنهار والبيت، خاصة بالنسبة للأطفال الصغار. ويتم ترتيب وجدولة أنشطة الأطفال على أساس الأعمال الروتينية اليومية مثل الوصول إلى الفصل والغداء ووقت الاستراحة. في بعض الأحيان يكون من الضروري تغيير الأنشطة الروتينية من أجل أحداث خاصة. على سبيل المثال ترك كل الأطفال في زيانج يانج وقت الاستراحة في أحد أيام الصيف للانضمام إلى سكان المجتمع المحلي الذين تجمعوا لمشاهدة بروفة مهرجان مركب التين في نهر يانجتسي.

تصميم الأنشطة: تصمم الأنشطة عادة من واقع المجتمع المحلي وذلك لتعزيز الدمج الكامل. والهدف من ذلك هو تسهيل التفاعل بين سكان المجتمع المحلي والأطفال وموظفي زيانج يانج، بما يسهم في تحسين نوعية بيئة الأطفال. يمثل مركز زيانج يانج برنامج تربية خاصة منعزل في مجتمع محلي يشكل الفلاحون ورجال الأعمال والعمال المتقاعدون غالبية سكانه. فلم يتم الوعي بالمجتمع المحلي بين الأشخاص المجاورين، وقد اتخذ مركز زيانج يانج خطوات لإشراك المجتمع المحلي بفعالية ودعوة الأشخاص المجاورين للتعرف على المركز. ويعتبر تنظيف الممرات وسلم المبني ودهانها أمثلة لبدء جهود ترمي إلى تحسين نوعية الحياة. ومن خلال المشاركة في مثل هذه الأنشطة يتعلم الأطفال الصغار كيف يكونوا جزءاً من جماعاتهم منذ وقت مبكر في حياتهم.

ولعله من قبيل الترف أن نتحدث عن استخدام التقنية في التدريس في منطقة تندر بها الموارد. لكن إذا توفرت للنجارين المحليين النماذج أو الصور اللازمة ، فسوف يتمكنوا من استخدام مواد رخيصة متاحة محلياً لبناء أجهزة معدلة Adaptive Equipments للأطفال ذوي الإعاقة البدنية. ومن أمثلة ذلك أن قام أحد أولياء الأمور بصنع كرسيين معدلين وسنادة وتجهيزات تسلق داخلية للمركز. كما يخطط الموظفون لاستيراد الأجزاء من تايوان لكي يقوم الكهربائيون المحليون بتجميع أجهزة التواصل المعزز والبديل. وبذلك يمكن التعويض عن الفقر الاقتصادي عن طريق إبداع ومهارة الشعب الصيني.

المشاركة الأسرية

في مجتمع يتحتم فيه العمل على كل من الأب والأم وتمثل البطالة مشكلة متزايدة ، لا يأتي تعلم كيفية تلبية احتياجات الأطفال ذوي الإعاقات على رأس أولويات الوالدين. وفي المقابل يسافر أولياء أمور آخرون ، خاصة المتعلمون والموسرون ، ويقطعون مسافات طويلة إلى المدن الكبيرة طلباً للمساعدة والاستشارة ، لكن النتائج تكون في أغلب الأحيان قصيرة المدى ولا تساعد في التعامل مع كل المشكلات التي تظهر مع نمو الطفل. ويقدم موظفو مركز زيانج يانج الدعم للأسر بحيث يحتفظ أولياء الأمور باهتمامهم وإيجابيتهم ولا يضع حماسهم لتعليم الطفل. وتركز الإستراتيجيات على الأسر الفقيرة التي تعيش في المناطق الريفية ، وربما لذلك قد لا تكون ملائمة لأولياء الأمور الذين تتوفر تحت تصرفهم موارد أكثر ويعيشون في المدن وعواصم الأقاليم.

على أن معظم الخدمات التي يقدمها مركز زيانج يانج مجانية ، ولا يسمح للمعلمين بقبول الهدايا من الأسر. وقد ساعد ذلك في بناء الثقة بين مقدمي الخدمة ومتلقيها. كما يحرص المركز على أن تتوافق الخدمات التي يقدمها مع احتياجات

وجداول الأسر، كأن تحدد مواعيد اللقاءات مع أولياء الأمور في الأوقات التي تناسبهم، وتكون رعاية الطفولة متاحة دائماً. وفي العادة ينفذ معلمان الزيارات المنزلية معاً، بحيث يقوم أحدهما باللعب مع الطفل وأشقائه بينما يناقش الآخر القضايا مع أولياء الأمور. وقيل تقديم أية مقترحات يستفسر المعلمون أولاً حول ما يقدم للطفل في المنزل. وفي ثقافة يحظى المعلمون فيها بتقدير كبير لا يتمتع موظفو زيانج يانج عن تقديم أية توصيات مباشرة عندما يرون ذلك مناسباً.

وفي الاجتماعات مع أولياء الأمور يطلب منهم في الغالب شراء التجهيزات المدرسية للمعلمين، ثم يرد إليهم ما أنفقوه فيما بعد. وقد وفر ذلك للأسر فرصاً للتعرف على أنشطة المدرسة وربط الأطفال بالمجتمع المحلي. وفي الغالب تكون الجوائز التي يستخدمها المعلمون لتعزيز تعلم الأطفال عبارة عن أشياء منزلية تحتاجها الأسر. ويعد أن يكون الطفل قد اكتسب مهارة مهمة، ويعد استئذان أولياء الأمور، يساعد المعلم الطفل على إظهار المهارة باستخدام المواد المتاحة في المنزل. ومن أجل ذلك يفحص المعلمون الأعمال الروتينية اليومية للطفل والأسرة لكي يفهموا طبيعة ومكان الأنشطة حتى يعلموا أولياء الأمور كيف يستخدمون ما يوجد في بيئاتهم لتحسين نمو الطفل. ويحتاج أولياء الأمور إلى تحفيز لكي يلعبوا دوراً إيجابياً في تعليم أطفالهم، وذلك لا يمكن أن يتحقق إلا عندما يكون ما يطلب منهم القيام به سهل دمج في أنشطتهم المعتادة. ولا يطلب من أولياء الأمور أن يقتطعوا من وقتهم لأغراض تعليمية. فعلى سبيل المثال تملك إحدى الأسر مكاناً لبيع الفاكهة في سوق البلدة ويحب طفلهم ابن الرابعة أن يكون جزءاً من هذا العمل الأسري. وتأسيساً على هذه الملاحظة، ساعد المعلم والد الطفل في تعليمه تنظيف التفاح وتصنيف البرتقال والكمثرى.

لا تركز الخدمات التي يقدمها مركز زيانج يانج فقط على تحسين نمو الطفل، وإنما يتعامل المركز مع الطفل باعتباره جزءاً من وحدة أسرية لا بد من الاجتماع

بأعضائها لكي ينمو الطفل بطريقة إيجابية. وتركز الورش التي يقدمها المركز لأولياء الأمور على التواصل من جانب الوالدين والإدارة المالية والترفيه وتزيين المنزل والرحلات والألعاب الرياضية والتدريب المهني

توصيات للمهنيين في الدول الأخرى

عند البحث عن نموذج توصيل الخدمة الأكثر ملاءمة للأطفال الصغار ذوي الإعاقات وأسرههم، يجد المرء نفسه أمام خيارين متقابلين لحل المشكلات الكثيرة التي تعترض الخدمات الإنسانية. الخيار الأول هو أن تستخدم التقنيات المتقدمة والموارد الوفيرة للتخلص من المشكلة تماماً، والثاني هو أن يسمح "للمشكلة" بأن تصبح جزءاً من الحياة ويعيش معها بانسجام. والدول المختلفة، بناء على مستواها في النمو الاقتصادي والتوجه الثقافي، قد تختلف ظاهرياً في طريقة تقديم تلك الخدمات. لكنهم جميعاً يبحثون في الحقيقة عن حلول توجد على متصل ويطبّقون هذه الحلول.

تكمن روعة الصين في اتساعها الذي يمكنها من استيعاب هذين النموذجين المتقابلين لتوصيل الخدمة. ففي الصين، من ناحية، مدن تتمتع بموارد وفيرة وتقنيات متقدمة يمكن أن تساعد أطفالها وأسرههم على مواجهة التحديات. وتوجد، على الجانب الآخر، مناطق زراعية شاسعة تضرب المثل على قبول الأطفال ذوي الإعاقات كما هم.

إن مؤسسي برتامج زيانج يانج القادمين من تايوان يكافحون لإيجاد أفضل الطرق لخدمة الأسر بالطريقة الصحيحة. وهم لا يريدون أن يصطدموا مع طريقة المجتمع في النظر إلى أعضائه، وإنما يسمعون لأن يعززوا الدعم الذي يحتاجه الأطفال ذوي الإعاقات وأسرههم. وقد أدرك المؤسسون أن فاعلي التغيير غير المحليين لا بد أن يتجذروا في تربة المجتمع بأن يعيشوا مع الناس، والأمر يستغرق وقتاً طويلاً قبل أن يحصل هؤلاء على ثقة الأهالي وتقبلهم. لقد دعت الصين أعداداً لا تحصى من الخبراء

الأجانب في التربية الخاصة لكي ينقلوا إليها نماذج توصيل الخدمة المختلفة التي أثبتت فعاليتها. لكن تلك النماذج لم تساعد الممارسين الصينيين في خدمة مواطنيهم في مدنهم وقراهم. وبدلاً من الإتيان بمهنيين من الدول المتقدمة، يتمثل الطريق الأمثل لدعم برامج التدخل المبكر في المناطق الصينية النائية في تحفيز المربين الخاصين المحليين للبحث عن إجابات من منظورات أنثروبولوجية وبيئية. فما يحتاجه بالفعل في الصين هو أن نناقش الارتباط بين الخدمة الفعالة والتوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولا بد أن مثل هذه المناقشة سوف تثير المربين الخاصين الصينيين لإيجاد خدمات متفردة تعكس الخصائص الاجتماعية والاقتصادية المحلية. ومن خلال استكشاف المرء لقيمه فحسب يمكنه أن يطور خدمات ملائمة.

خاتمة

إن إدراك أهمية التدخل المبكر وتوفير التمويل اللازم لدعم البرامج في المناطق الريفية يعني أن تتوفر لبرامج مثل مركز زيانج يانج لنمو الطفل إمكانية لتحفيز تطوير البرنامج وتحسين نوعية الخدمات المقدمة. ومن أجل توفير الخدمات للأطفال الصغار ذوي الإعاقات وأسرههم، لا بد أن يعي الجمهور قيمة التدخل المبكر. وفي ذلك يعمل الموظفون في مركز زيانج يانج لنمو الطفل من أجل تقديم برامج عالية الجودة من خلال إشراك الأسر بطريقة ذات معنى لهم، ومن خلال المشاركة بفعالية في المجتمع المحلي. وقد أدى نجاح المركز إلى جذب انتباه مقدمي الخدمة في كثير من المقاطعات. بيد أنه في بلد مترامي الأطراف ومتنوع مثل جمهورية الصين الشعبية، لا يمكن تجربة مركز واحد أن تقدم نموذجاً يعد بالنجاح في المناطق المختلفة. لكن ذلك لا يمنع أن يستخدم الممارسون المبادئ التوجيهية التي وضعها مركز زيانج يانج لتطوير خدمات لدعم المعلمين وتلبية احتياجات كل من الأطفال وأسرههم مجتمعاتهم المحلية.

المراجع

References

- Becker, J. (2000). *The-Chinese*. New York: The Free Press.
- Carter, D., Chen, G., Hwang, T.Y., & Yu, X. (1996). Special education in the People's Republic of China; History, trends and challenges. *B.C. Journal of Special Education*, 20(3), 25-35.
- Chen, Y.Y. (1996). Making special education compulsory and inclusive in China. *Cambridge Journal of Education*, 26(1), 47-57.
- Chen, Y.Y. (1997). Mianxiang weilai mianxiang shehui de Zhongguo yitihua jiaoyu. [China's integrated education: Facing the future and facing the world]. In Y.Y. Chen (Ed.), *Zhongguo yitihua jiaoyu gaige de lilun yu shijian* [Theory and practice in China's integrated education reform] (pp. 3-17). Beijing, People's Republic of China: Huaxia Chubanshe.
- Chen, Y.Y., Ye, L.X., & Peng, X.G. (1995). Ningxia huizu zizhiqu teshu jiaoyu xianzhuang de diaocha [Investigation of the situation of special education in Ningxia Moslem Autonomous Region]. *Teshu Brtong yu Shizi Yanjiu* [Special Children and Teacher Preparation], 1, 24-27.
- Epstein, E. (1988). Special educational provision in the People's Republic of China. *Comparative Education*, 24, 365-375.
- Epstein, I. (1992). Special education issues in China's modernization. In Ruth Hayhoe (Ed.), *Education and modernization: The Chinese experience* (pp. 285-303). Elmsford, NY: Pergamon.
- Gao, M., Xiang, B., & Jing, G.Z. (1999). Xueqian teshu jiaoyu shijian: Yitihua jiaoyu de tuijin [Practice of preschool special education: An approach of integration education]. *Zhongguo Teshu Jiaoyu* [Special Education in China], 3, 12-15.
- Gargiulo, R.M., & Piao, Y.X. (1996). Early childhood special education in the People's Republic of China. *Early Child Development and Care*, 118, 35-43.
- Holdsworth, J.C. (1993). Integrated education project, Anhui province. In United Nations Educational, Scientific, and Cultural Organization (UNESCO) (Ed.), *Making it happen: Examples of good practice in special needs education & community-based programmes* (pp. 9-15). Paris: UNESCO. (ERIC Document Reproduction Service No. ED 375556)
- Mao, Y.Y. (1989). The FORTUNE training school in China: A support for mentally retarded children and their parents. *Early Childhood Development and Care*, 50, 189-196.
- Mao, Y.Y., & Wang, S.Q. (1994). *Ruozhiertongdezaogiqiganyu*. [Early intervention for children with cognitive disabilities]. Beijing, People's Republic of China: Huaxia Chubanshe.
- Mu, K.L., Yang, H.L., & Armfield, A. (1993, April). *China's special education: A comparative analysis*. Paper presented at the annual convention of the Council for Exceptional Children, San Antonio, TX. (ERIC Document Reproduction Service No. ED 361947)

- National People's Congress (1986). *Zhonghua renmin gongheguo yiwu jiaoyu fa* [Compulsory Education Law of the People's Republic of China]. Beijing, People's Republic of China: Law Publishers.
- National People's Congress (1990). *Zhonghua renmin gongheguo canji ren baozhangfa* [Law of the People's Republic of China on the Protection of Disabled Persons]. Beijing, People's Republic of China: Legal System Publishers.
- Renmin Jiaoyu Press. (1991). Man, longya, ruozhi xuexiao [Schools for children who are deaf, blind, or have mental retardation]. In *Zhongguo Jiaoyu Chengjiu, 1986-1990* [Educational Achievements in China, 1986-1990] (p. 84). Beijing, People's Republic of China: Author.
- Scalapino, R.A. (1999). China: Between tradition and modernity. In E. Sand-schneider (Ed.), *The study of modern China* (pp. 1-15). New York: St Martin's Press.
- Strom, R.D., Strom, S.K., & Xie, Q. (1995). The small family in China. *International Journal of Early Childhood*, 27(2), 37-45.
- Yang, H.L., & Wang, H.B. (1994). Special education in China. *The Journal of Special Education*, 28(1), 93-103.
- Ye, L.Q., & Piao, Y.S. (1995). *Teshu jiaoyu xue* [The study of special education]. Fujian, People's Republic of China: Fujian Jiaoyu.
- Zhao, L., Guo, C.F., & Zhou, M. (1997). Jiankang youer yu long youer de duikou jiaoyu huodong shijian [The implementation of counterpart activities for healthy young children and young children who are deaf]. In Y.Y. Chen (Ed.), *Zhongguo yitihua jiaoyu gaige de lilun yu shijian* [Theory and practice of the reform of China's integrated education] (pp. 198-202). Beijing, People's Republic of China: Xinhua Chubanshe.
- Zhao, T.Z. (1996). Wo guo canji ertong kangfu gongzuo de duice yu tujing [Strategies of rehabilitation of children with disabilities in China]. *Zhongguo Teshu Jiaoyu [Special Education in China]*, 1, 28-31.
- Zhou, J., & Cheng, X.Q. (1995). Lun xueqian jiaoyu jigou de teshu ertong jiaoyu [A discussion of special education within preschool organizations], *Teshu Ertong Yu Shizi Jiaoyu [Special Children and Teacher Preparation]*, 3, 2-5.